الفصـــل الثامـن

أبشع مذبحة في التاريخ
«صـــبرا وشـــاتيلا»

« فقد خرج الصبيان محمد وامين سنونو ـ وهما ابناء عمومة ـ من مخيم شاتيلا لشراء طعام خلال إحدى فترات وقف اطلاق النار . كان امين يقف قريبا من محمد الذى التقط كرة معدنية صغيرة كانت ملقاة فى الشارع ، ثم انفجرت الكرة مطلقة شظرات معدنية حادة فى جميع الاتجاهات ، واخترقت الشظايا الضلوع اسفل القفص الصدرى لامين ، ممزقة معدته والقولون والامعاء واحدى رئتيه ، كذلك خرجت احشاء محمد نتيجة للانفجار ، وحدث تلف بالطحال واستلزم الامر اجراء جراحة لمعدته والقولون ، اما اليد التى كانت تحمل القنبلة فقد تمزقت واصيب وجه محمد وإحدى عينيه بحروق شديدة » .

د . كيفين دانهار

الأستاذ بالجامعة الامريكية فى بيروت

الفصـــل الثامـن

أبشع مذبحة في التاريخ صـــبرا وشـــاتيلا

في البداية .. أطرح سؤالاً ضرورياً .. ما هو الهدف الرئيسي لدخول القوات الإسرائيلية لبنان واحتلال أراضيه ؟

هل الهدف إخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان ؟

لا .

هل الهدف الاستيلاء على مياه نهر الليطاني ؟

لا .

هل الهدف – كما ادعت – سلامة المستعمرات الإسرائيلية في الجليل الأعلى من قذائف الكاتيوشا ؟

لا .

* * *

الهدف الحقيقي – من خلال استقراء المجازر والمذابح والأحداث في لبنان – هو إبادة أكبر تجمع فلسطيني خارج الأرض المحتلة إبادة تامة . فالقوات الإسرائيلية منذ اللحظة الأولى التي وضعت أقدامها على التراب اللبناني وهي تقتل – لا تقاتل – الفلسطينيين ، خاصة النساء منهم ، على أساس أن المرأة الفلسطينية هي التي تقدم الوقود الدائم وإلى الأبد للثورة الفلسطينية ، وهي القنبلة البيولوجية – التي ترعب إسرائيل – كما وصفها ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لجريدة « الأخبار » القاهرية في أبريل عام ١٩٨٦ ، لذلك .. كانت فوهات المدافع الإسرائيلية تضرب بقسوة أماكن التجمعات الفلسطينية المدنية في المخيمات الفلسطينية بلبنان ، وكان رصاص القناصة الإسرائيليين يختار المرأة الفلسطينية هدفاً له .

* * *

لم يكن غزو لبنان ، هو مجرد عملية انتقامية ضد محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن ، لقد كان الغزو مبيتاً له ، معروفاً لدى أطراف عربية ، مخططاً له من قبل الحكومة الإسرائيلية تخطيطاً جيداً ، بحيث تشترك فيه كل أسلحة الإرهاب الحكومية الإسرائيلية ،

من الموساد إلى الطيران ، إلى البحرية إلى القوات البرية وهذه المؤسسات الإرهابية الحكومية الإسرائيلية ، تلتقي عند هدف واحد : إبادة أكبر تجمع فلسطيني خارج الأرض المحتلة .

وللوصول إلى هذا الهدف .. فلا شيء محرم .. قتل النساء والأطفال .. اقتحام المخيمات .. استخدام الأسلحة المحرمة .. إثارة الطوائف اللبنانية بعضها على بعض .. لا رحمة ولا شفقة ولا إنسانية مع الفلسطينيين المقيمين في لبنان ..

* * *

● **الأسلحة المحرقة** : لقد كشفت مجلة ميدل إيست البريطانية في عدد شهر سبتمبر ١٩٨٦ ، خبراً خطيراً ، قالت ان إسرائيل قد استعدت لحرب لبنان بأسلحة رعب جديدة ، وأن إسرائيل قد ابتكرت قنابل مدمرة ضد الأفراد ، وتقول المجلة :

– « تصنع أغلفة القنابل الصغيرة من معدن شديد الصلابة وعندما تنفجر تتناثر شظايا بسرعة تزيد على أربعة آلاف قدم في الثانية وبذلك تستطيع القنابل من طراز س . بي يو اختراق دروع الدبابات لعدة بوصات – أما الأفراد فيمكنها تمزيقهم إرباً .

وفي بعض الأحيان تسقط هذه القنابل على الأرض دون أن تنفجر إلا عند العبث بها ..

ويصف كيفين دانهار ، الأستاذ المساعد بالجامعة الأمريكية في بيروت ما حدث لصبيين التقطا واحدة من هذه القنابل أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ..

فقد خرج الصبيان محمد وأمين سنونو – وهما أبناء عمومة – من مخيم شاتيلا لشراء طعام خلال إحدى فترات وقف إطلاق النار ..

ويقول دانهار : « كان أمين يقف قريباً من محمد الذي التقط كرة معدنية صغيرة كانت ملقاة في الشارع . ثم انفجرت الكرة مطلقة شفرات معدنية حادة في جميع الاتجاهات . واخترقت الشظايا الضلوع أسفل القفص الصدري لأمين ممزقة معدته والقولون والأمعاء وإحدى رئتيه » ..

ويستطرد قائلاً : « كذلك خرجت أحشاء محمد نتيجة للانفجار . وحدث تلف بالطحال واستلزم الأمر إجراء جراحة لمعدته والقولون . أما اليد التي كانت تحمل القنبلة فقد تمزقت وأصيب وجه محمد وإحدى عينيه بحروق شديدة » ..

ومما يذكر أن التطور الكبير الذي أدخل على هذا النوع من القنابل ثم أثناء الحرب

الفيتنامية ، وبحلول أواخر الستينيات كانت الولايات المتحدة تستخدم هذه القنابل بصورة مكثفة كأسلحة « إبادة » . وكان أول نوع من هذه القنابل تسلمته إسرائيل من طراز س . بي يو ٥٨ ويصل طول الغلاف إلى سبعة أقدام وتحتوي على ٦٧٠ كرة في حجم كرة الجولف وتزن ٣٨٠ كجم » ..

وأغلفة هذه القنابل تنفجر في الجو لتخرج منها الكرات المعدنية الصغيرة التي تنتشر فوق مساحة واسعة .. وتجدر الإشارة إلى أن الكرات الصغيرة تتحرك حركة دورانية أثناء انتشارها وهذا بدوره تنتج عنه حرارة بسبب انفجارات هذه الكرات .

وقد توقف إنتاج هذا النوع من القنابل إلا أنها استخدمت من جانب إسرائيل في لبنان عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٢ ..

وفي عام ١٩٨٢ ، أصبحت إسرائيل تمتلك عدة أنواع من القنابل العنقودية وبخاصة طراز م ك – ٢٠ روكاي التي تنتجها شركة « هونيوبل » الأمريكية . ويزن هذا النوع أقل من ٢٢٧ كجم إلا أنه أقوى ، كما تحتوي كل قنبلة على ٢٤٧ كرة معدنية ..

والمعروف أن هذه القنابل الأمريكية مصممة في الأساس كأسلحة ضد الدبابات أما إسرائيل فإنها بحاجة إلى قنابل ضد الأفراد ، ومن ثم فقد ابتكرت قنبلتها الخاصة المعروفة باسم تال – ١ .. وتزن الواحدة حوالي ٢٥٠ كجم كما أنها مزودة بنظام ميكانيكي زمني يسمح للطيار بضبط شكل الانتشار ليلائم الهدف ، وتحمل القنبلة الواحدة ٢٧٩ كرة معدنية ..

انتهت أحدث شهادة عن الإرهاب الإسرائيلي الحكومي في لبنان ، وهناك شهادات أخرى ، وإليكم بعضها؟ :

لقد قصف الطيران الصهيوني بصورة منتظمة المستشفيات والعيادات رغم وجود أعلام وشعارات الصليب الأحمر الدولي مما تسبب في مقتل آلاف المدنيين وفي هذا الصدد أشار التقرير ، الذي وضعته في نيقوسيا اللجنة الدولية للتحقيق في جرائم الكيان الصهيوني ، قال فريق من الأطباء والممرضات اليونانيين : « لقد رأينا جرحى ومرضى سحقتهم الدبابات الإسرائيلية » وأسفر قصف مستشفى الأمراض العقلية عن مقتل ٢٧ شخصاً ، ومايخالف المعاهدات الدولية فقد منعت قوات الاحتلال الصهيوني وصول الدم والأدوية والعقاقير

لصالح الصليب الأحمر ، كما قصفوا بالصواريخ في ميناء جونيه السفينة الألمانية الغربية « م ــ س . فلورا » بينما كانت تفرغ حمولتها من الأدوية واللقاحات وبلازما الدم والتجهيزات الطبية لصالح المستشفيات ..

كما ألقت الطائرات الصهيونية متفجرات على شكل لعب زاهية الألوان لها أشكال مختلفة ، وكان الأطفال يلتقطونها لتنفجر بين أيديهم وقد زار المؤلف الموسيقي اليوناني ميكيس تيودور أكيس المستشفيات اللبنانية ، وأفاد أمام لجنة التحقيق في جرائم إسرائيل أنه شهد عدداً من حالات الموت الفاجع بين الأطفال اللبنانيين والفلسطينيين ممن التقطوا الألعاب المتفجرة ..

وعرض فرانكلين ليمب وهو شخصية اجتماعية أمريكية على اللجنة الدولية للتحقيق في جرائم إسرائيل في لبنان ، نماذج من القنابل الفوسفورية التي استخدمها الكيان الصهيوني على نطاق واسع خلال عملية غزو لبنان ، ولدى انفجار هذه القنابل يتطاير منها وابل من الشظايا الصغيرة كلما قصف المعتدون الصهاينة مدينة بيروت بقنابل مماثلة في صناديق يتسع الصندوق الواحد منها لـ ٤٥٠ قنبلة ، وقال أطباء كنديون ويونانيون عملوا في لبنان خلال عملية الغزو : « لقد أجرينا عمليات جراحية لمرضى شوهتهم نار القنابل العنقودية والفوسفورية وكانت أجساد الضحايا تبدو أشبه بالغربال .

ونشرت صحيفة واشنطن بوست رسالة لمراسلها في بيروت عن آلام وهلاك السكان المدنيين الذي سقطوا ضحايا القنابل الفوسفورية ، كما استخدم المعتدون في لبنان غاز الشلل العصبي الذي يسبب القيء وأوجاع الرأس والهلوسة والشلل .

* * *

اقتحمت القوات الإسرائيلية في التاسع من يونيو عام ١٩٨٢ الجنوب اللبناني وبدأت مسلسل الإرهاب على أوسع نطاق ، وكانت هذه بداية خطيرة لحرب الإبادة التي خططتها المؤسسة العسكرية الإرهابية الحاكمة في إسرائيل ، وقامت القوات الإسرائيلية بتدمير القرى على رؤوس سكانها ، والأحياء السكنية في مدن الجنوب اللبناني ، ثم دمرت مدارس الأطفال تدميراً بربرياً ، ولم تنج المستشفيات اللبنانية من قصف الطائرات الإسرائيلية ، وتمكنت من تحويل بعض أجزاء من العاصمة اللبنانية إلى أنقاض ، وكذلك مدن الجنوب اللبناني ، وخاصة مخيمات الفلسطينيين .

ولكن .. كانت أخطر المجازر ، تلك التي خططت لها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، ودفعت بكتائب الخيانة الوحشية لتنفيذها ، مشاركة بذلك في أبشع وأقسى مجزرة حدثت في كل التاريخ البشري وهي مذبحة « صبرا وشاتيلا » ..

ونقدم هنا شهادة قائد قوات الكتيبة ١٧ الفلسطينية ، العقيد أبو الطيب . يقول :

– « الساعة الثالثة والنصف صباحاً ، وقبل الهجوم الإسرائيلي على بيروت الغربية ، في الطرف الشرقي من العاصمة اللبنانية كان يدور اجتماع بالغ الأهمية في المقر العام (للقوات اللبنانية) وهي الميليشيات الموحدة لليمين المسيحي والتي أسسها وترأسها بشير الجميل ..

وحضر الاجتماع عن الجانب الإسرائيلي ، الجنرال ايتان والجنرال دروري ..

أما الميليشيات الكتائبية فقد تمثلت بأهم رؤسائها العسكريين وعلى رأسهم فادي افرام القائد العام لهذه القوات ، والياس حبيقة ، المسئول عن المخابرات ورسموا مجتمعين تفاصيل مشاركة هذه الميليشيات في عملية السيطرة على بيروت الغربية في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٢ ..

أما في الكنيست الإسرائيلي في الوطن المحتل فقد ناقش البرلمان مبدأ دخول الكتائبيين إلى مخيمات الفلسطينيين على ضوء نتائج الاجتماع الذي جرى والذي أكد في نهايته مسئول عسكري كتائبي للجانب الإسرائيلي قوله :

أننا منذ سنوات ونحن ننتظر هذه اللحظة .

بعد الاجتماع صرح شارون بأن القائد الإسرائيلي للجبهة الشمالية تلقي يومها التعليمات التالية :

١ – عمليات تمشيط المخيمات وتطهيرها سيتولاها الكتائبيون .

٢ – الجنرال ايتان وامير دروري يجب أن يظلا على اتصال دائم بالكتائب من أجل التمهيد لدخول قوات الكتائب إلى المخيمات الفلسطينية ..

٣ – قام الإسرائيليون بطلاء دهان على جدران المباني لتكون إشارات استكشاف وذلك بكتابة « الحروف اللاتينية الأولى للشرطة العسكرية ومثلثاً وسط دائرة » وهذا هو « شعار » القوات اللبنانية كما رسموا أسهماً تشير إلى محوره انطلاقاً من الشويفات في جنوب شرق بيروت وحتى السفارة الكويتية باتجاه مخيمي اللاجئين الفلسطينيين .

٤ – نظمت القوات اللبنانية خلال الساعات الأولى من الهجوم الإسرائيلي هذه العملية

وذلك من أجل تحديد الطرق المفترض سلوكها وكان تحديداً دقيقاً جداً للذين لا يعرفون المدينة من أفراد هذه القوات ..

* * *

● **الساعة الخامسة فجراً :**

في الساعة الخامسة تماماً بدأ التقدم الإسرائيلي فمع الفجر تقدم المشاة وراء الدبابات ببطء من مبنى إلى آخر ، وكانوا يلتقون في طريقهم بأوائل المدنيين المستيقظين باكراً للصلاة .

كان الهدف الأول للقوات السيطرة على مفارق الطرق ، ومن ثم على الأبنية المرتفعة وذلك من أجل الإشراف بوضوح على المناطق المجاورة ..

بعد شروق الشمس بقليل بدأت أسراب من الطائرات الإسرائيلية بالتحليق فوق سماء بيروت وبطلعات متعددة وعلى ارتفاع منخفض وذلك في عملية مناورات القصد منها إظهار القوة وبالتالي زرع الخوف بين سكان المخيمات الفلسطينية دون أن تشارك في المعارك التي ستجري ..

كان المقر لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية قبل رحيل المقاتلين من بيروت هو محلة الفكهاني والتي تقع إلى الجنوب الغربي من بيروت ..

ومع طلعات الطائرات فوق تلك المنطقة فقد بدأت عملية رحيل من قبل السكان الذين كانوا قد التجأوا إلى هذه المقرات بعد تدمير بيوتهم أثناء حصار بيروت فبدأوا بالتوجه إلى الجوامع المجاورة خوفاً من الغارات الإسرائيلية المحتملة ..

في نفس الوقت كان يجري ترتيب آخر للقوات الإسرائيلية التي استولت بسرعة على عدد من النقاط الهامة والحساسة التي كانت محتلة من قبل جنود القوات الدولية التي جاءت إلى بيروت للإشراف على رحيل المقاتلين الفلسطينيين وعلى التعهد بالحفاظ على أهالي المخيمات الفلسطينية ..

ولكن الذي حصل أن هذه القوات سلمت هذه النقاط إلى الجيش اللبناني الذي تراجع فوراً أمام التقدم الإسرائيلي ..

وأخذ هذا الجيش يحتمي خلف المباني الآمنة وفي أماكن بعيدة وبدأ يأخذ دور المتفرج على كل ما يجري وكأن ما يجري لا يعنيه مطلقاً ..

تقدمت القوات الإسرائيلية على خمسة محاور وبذلك حاصرت بيروت الغربية ابتداء من الضاحية الجنوبية وحتى الميناء في شمال المدينة ..

وبذلك نستطيع أن نقسم تقدم الإسرائيليين في فترة ماقبل الظهر كما يلي :

١ – انتشر الإسرائيليون على طول الطريق الساحلية من الأوزاعي ومن ثم باتجاه الشمال وحتى كورنيش المزرعة وهو الكورنيش الذي يخترق المدينة من الشرق إلى الغرب ..

٢ – تواجدوا أيضاً على الطريق التي تمر غرب مخيمي صبرا وشاتيلا باتجاه المدينة الرياضية ..

٣ – المحور الثالث شرق المخيمات باتجاه ميدان سباق الخيل ثم بعد ذلك سلكوا محورين جديدين بعد الظهر ..

٤ – تواجدوا من المرفأ حتى الغرب حتى قلب حي الفنادق ..

٥ – ومن ثم تواجدوا عند بوابة المتحف للعبور من الشرق إلى الغرب ..

كانت المقاومة التي جابهتهم ضعيفة جداً فلم تكن غير رماية متقطعة من المدفعية الخفيفة وبعض الصواريخ المضادة للدبابات (آر . بي . جي) ..

وكان الإسرائيليون كلما حددوا مواقع المقاومة يوجهون مدافع دباباتهم ويطلقون النار فوراً ..

كذلك بدأت زوارقهم تقصف في نفس اللحظة الأهداف القريب من الشاطىء ..

لقد جاءت الأوامر من تل أبيب بتجنب الخسائر البشرية في صفوف القوات الإسرائيلية بأي ثمن ..

وكان شارون بالذات يخشى كثيراً من أن يلطخ بخسائر تدفعها الأرواح الإسرائيلية .. خاصة أن هناك من سيقوم بهذه المهمة نيابة عن جنوده ..

ورغم ذلك ورغم ضعف المقاومة فقد دفع شارون خسائر من جنوده وخاصة في اليوم الأول من دخول القوات بيروت فقد كان هناك ٥٢ جندياً إسرائيلياً بين قتيل وجريح .

* * *

● الساعة ٩,٠٠ صباحاً :

جاء شارون بنفسه ليدير الاقتحام الإسرائيلي لبيروت الشرقية الخالية من المقاتلين وأقام مقر قيادة له كي يكمل تنفيذ مخططه فوق سطح بناية كبيرة تقع على مفرق السفارة الكويتية ..

وكان هذا الموقع يمكنه من مراقبة العاصمة بيروت وأن يرى كل ما يجري في مخيمات صبرا وشاتيلا بمراقبة واضحة ودقيقة ..

● يضيف القائد الفلسطيني :

خلال ذلك النهار أرسلت قوات جديدة إلى بيروت ، ونقلت أفواج عديدة من لواء « غولاني » حضرت من الوطن المحتل إلى مطار بيروت الدولي مستخدمة طائرات الهليكوبتر ..

ثم تبع ذلك دبابات الأفواج المدرعة التابعة للواء نفسه الذي كان يقوده الكولونيل إيلي جيفع قبل استقالته احتجاجاً على وحشية الحرب في حصار بيروت وما تبع استقالته من إرباك الكثير من أفراد الجيش الصهيوني ..

وباختصار فلم يجابه شارون في بيروت الفارغة من مقاتليها غير بعض العناصر التابعة لميليشيات الأحزاب الوطنية سوى مقاومة رمزية في وجه أقوى آلة عسكرية حشدت لها إسرائيل كل طاقاتها البشرية والعسكرية ..

وقد قامت هذه العناصر من الميليشيات بمجابهة هذا الجيش بدافع وطني ودون انتظار توجيهات أحزابها ، لكنها وجدت نفسها وحيدة أمام مدرعات إسرائيلية ..

١ – فأولاً قبل أيام ليست كثيرة غادر بيروت حوالي خمسة عشر ألف مقاتل فلسطيني وجندي سوري ..

٢ – أتبع رحيل هذه القوات تفكيك المنشآت العسكرية على خطوط التماس بتواجد قوات دولية ..

٣ – كان قد تم إزالة الألغام في هذا التقاطع الهام بالذات والذي نتج عن إزالته فتح طريق سهلة وواسعة أمام المدرعات الإسرائيلية الغازية ..

في شمال المخيمات الفلسطينية تجمعت قوات صغيرة من القوات التقدمية والإسلامية وعناصر فلسطينية اتخذت لنفسها اسم « القوات الوطنية اللبنانية » .. وحاولت بقلة إمكاناتها ما استطاعت من مقاومة ..

وباستثناء بعض الحالات النادرة التي جابهت هذه القوات فلم يكن هناك أي شيء .. ولذلك تابع الإسرائيليون غزوهم بتقدمهم داخل المدينة حسب الخطة المرسومة ودون مفاجآت لدرجة أن الجنرال « شارون » وجد متسعاً من الوقت في الحادية عشرة صباحاً للتوجه إلى « بكفيا » ليقدم تعازيه الحارة لعائلة الجميل بمصرع الرئيس بشير الجميل ..

● يقول العقيد أبو الطيب :

– وكانت قد أعطيت الأوامر للقوات الإسرائيلية بتجريد جميع الميليشيات اليسارية والإسلامية من أي سلاح كان ..

بحيث تبقى في لبنان بعد خروج المقاومة الفلسطينية قوة عسكرية هشة المبنى كما سبق وذكرنا امام القوات اللبنانية » والتي كان اعتمادها الأساسي على عناصر من اليمين المسيحي ..

هذا الوضع الجديد جعل الكتائب أي القوات التي أسسها « بيار الجميل » تجد نفسها فجأة في وضع جديد ومتميز بين التنظيمات اللبنانية بحيث لم تحلم الكتائب حتى في أكثر أوقاتها تفاؤلاً وقوة أن تصل هذا الوضع .

في صباح ١٥ سبتمبر ، توجه موريس درير الموفد الخاص للرئيس الأمريكي ريجان إلى مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي ليبدأ البحث معه تنفيذ النقطة الثانية من اتفاقية فيليب حبيب ، وهي انسحاب كل القوات الغريبة من لبنان .. وقبل أن يبدأ موريس درير بالتحدث عن مهمته بادره مناحيم بيجين بترحيبه بالموفد الأميركي بالعبارات التالية :

– « سيدي السفير ، أتشرف بأن أبلغكم بأن قواتنا تتقدم وتأخذ مراكزها في بيروت الغربية منذ الساعة الخامسة من فجر اليوم ، إن هدفنا الحفاظ على المدينة فالوضع الحرج الناتج عن اغتيال بشير الجميل قد يؤدي إلى حدوث اضطرابات دامية أي يوم غروم ؟ » ..

هذا ما قاله بيغن عن الدور الإسرائيلي للمبعوث الأميركي لكنه لم يقل كلمة واحدة عن هدف إسرائيل فتح المخيمات الفلسطينية لدخول قوات الكتائب ..

في المساء بدأت القوات الإسرائيلية تطلق عدداً من القنابل باتجاه مخيمي صبرا وشاتيلا وفي الوقت نفسه كان ثمة دكتور نرويجي يصرح ، بأن هناك ١٥ شخصاً وصلوا إليه في مستشفى غزة الواقع إلى الغرب من مخيم صبرا منذ مساء الأربعاء ..

ولعل تصريح الطبيب النرويجي (د. مايهلو مشاجن) كان البداية في الشهادات التي بدأت تتلاحق ..

* * *

في تلك الليلة انقطعت الكهرباء عن بيروت الغربية بشكل مفاجيء ، وبذلك غرقت المدينة في ظلام دامس ، لقد روى جندي إسرائيلي أن وحدته تلقت أمراً في الساعة العاشرة مساء بالبدء في إطلاق صواريخ مضيئة فوق المخيمين وأن الأمر يقول أن تتم هذه المهمة بعد منتصف الليل ..

وبالفعل ، عند منتصف الليل بدأت الطلقات تمزق صمت المدينة الثقيل وخاصة صمت ما يجري في داخل المخيمين بحيث تعلن الساعة أو يوماً آخر هو اليوم (١٠٤) من أيام الحرب الإسرائيلية الفلسطينية قد مضى ..

٣٠ ساعة فقط وأنجز الجيش الصهيوني مهمته وسيطر على بيروت الغربية كلها ، « حصن الأسود » الذي وقفت كل آلة الحرب الصهيونية مزودة بدعم أقوى دول العالم وبكل أنواع الأسلحة الأميركية ٨٨ يوماً ولم يستطيعوا أن يتقدموا نحو هذا الجزء الصغير من بيروت ولو خطوة واحدة ..

فجر الخميس كان حي الحمراء حي الأعمال يسقط بين يدي الغزاة ..

لقد داست الدبابات الإسرائيلية مباني بيروت ومخازنها المدمرة ، كذلك مئات السيارات التي أتلفتها الحرب والملقاة على الطرق ..

وعادت الحمراء تعاني وتتألم بعد أن كادت أن تستعيد حياة ما قبل الحرب ..

عادت الحرب ، وعاد الخراب يدمر ما تبقى من المحلات والمخازن الممتدة على طول أكثر من كيلومتر ، والتي كان أصحابها قد جددوها إثر عمليات القصف التي تعرضت لها في آب ..

وعند كل مفترق ، كانت العملية تتكرر ..

تصوب الدبابة مدفعها على محور الشارع العريض ثم تبدأ إطلاق قنابلها لتشق الطريق أمام جنود المشاه ، بعد ذلك يتوزع المشاه متجنبين الدخول في الأزقة والشوارع الصغيرة ..

لقد عادت العائلات إلى الملاجىء اتقاء للمدافع الإسرائيلية وقذائف الصواريخ التي تطلقها الميليشيات اليسارية اللبنانية في محاولة ضعيفة للدفاع ..

الطابوران الإسرائيليان من المصفحات والمشاه اللذان انطلقا ، الأول من المطار ..

والثاني من المرفأ والتقيا ببعضيهما قبل الظهر وبالقرب من السفارة الأمريكية في جادة باريس أحد أجمل الشوارع في العاصمة اللبنانية ..

وعند الظهر كانت بيروت الغربية بكاملها تحت السيطرة الإسرائيلية ..

ولأول مرة في تاريخها احتلت إسرائيل عاصمة عربية ..

وفي تل أبيب كانت وزارة دفاع الحكومة الصهيونية تحتفل بعيد رأس السنة اليهودية وكانت مناسبة ليعلن الجنرال شارون نجاح العملية وليرفع كأسه ويشرب نخب دماء نساء صبرا وأطفالها ..

وبهذه المناسبة أيضاً أصدر الناطق العسكري بياناً أعلن فيه :

– « أن جيش الدفاع الإسرائيلي يسيطر على جميع النقاط الاستراتيجية في بيروت وأن مخيمي اللاجئين وفيها تجمعات الإرهابيين محاصران ومقفلان » ..

ووصل تقرير عن العملية إلى هيئة الأركان في تل أبيب يعلن أنه لا يزال هناك بعض « جيوب المقاومة » التي لم يتمكن الجيش من تطهيرها بعد وتتواجد في منطقة الفكهاني حيث مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية سابقاً .. كما يعتقد أن هناك بعض « الإرهابيين » في مخيمي صابرا وشاتيلا ..

* * *

● وفي شهادة العقيد أبو الطيب يقول :

– فجر اليوم استيقظ سكان المخيمين على هدير الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض ، كان الوضع كالآتي :

١ – القوات الإسرائيلية تطوق المخيمين بإحكام ..

٢ – رجال القناصة المتمركزون حول المخيم بدأوا رمايتهم على أهدافهم في الشوارع الضيقة ..

٣ – من التلال والمرتفعات المحيطة بالمخيمين بدأت تنهال القنابل وبكثافة ..

وطول ذلك النهار والجرحى يتوافدون إلى مستشفى غزة القريب حيث انكب الأطباء والممرضات على العمل دون انقطاع كما تم إرسال قسم من الجرحى إلى مستشفى المقاصد الذي يبعد عن المخيمين حوالي ٥٠٠ متر ..

• دخـــول الكتـــائب :

بعد هذا التمهيد للمذبحة بدأت الكتائب تأخذ دورها وكانت قد أتمت انجاز استعداداتها لاقتحام المخيمين وقبل دخولهم ولضمانة إنجازهم واستعداداتهم فقد اتصل الجنرال روفائيل ايتان بوزيره اريل شارون أن الأمور تسير كما هو معد لها ..

وكان رد شارون على الجنرال دروري أن عليه أن يتحقق بنفسه من أن الكتائبيين جاهزون ..

وفي الساعة الثامنة صباحاً عقد اجتماع هام في مقر القيادة العامة الإسرائيلية تولى فيه الجنرال ايتان شرح مهمات الكتائبيين في المخيمين ، وقد اشترك في هذا الاجتماع :

١ – رئيس المخابرات العسكرية ، والجنرال سانيي ، أحد كبار موظفي الموساد .

٢ – ورئيس « شين بيت » أي قسم الأمن الداخلي .

وعند الظهر استقبل الجنرال دوري في قيادته العامة رئيس القوات اللبنانية (فادي فرام) ..

وسأله إذا كان رجاله على استعداد للدخول إلى صبرا وشاتيلا ، فأجابه المسئول الكتائبي : نعم .. حالاً ..

عندها أعطاه الجنرال دروري الضوء الأخضر ..

* * *

بعد ذلك غادرت القوات الكتائبية التي قدرت بحوالي « ١٥٠٠ رجل » قواعدها لتتجمع قرب مطار بيروت الدولي ثم لتنطلق بعد ذلك باتجاه المخيمين متتبعة الأسهم والإشارات التي رسمت في الليلة السابقة على جدران المدينة ..

وفي الساعة الثالثة التقى الجنرال (موسى يارون) آمر القوات الإسرائيلية في بيروت برفقة اثنين من ضباطه بالمسئول عن الاستخبارات في القوات اللبنانية الياس حبيقة وفادي فرام ..

ووضعوا معاً اللمسات الأخيرة بواسطة الصور الفوتغرافية الجوية التي قدمتها إسرائيل ، وبذلك انتهى مخطط الاقتحام ولم يبق إلا التنفيذ ..

كما أكد الجنرال الإسرائيلي لهما في نهاية الاجتماع أن قواته ستقدم لهما كل الدعم اللازم من أجل « تطهير المخيمين من الإرهابيين » ..

بعد هذا الاستعداد اتصل الجنرال دروري بالوزير شارون ليقول له : أصحابنا يتقدمون في المخيمين لقد نسقنا عملية دخولهم ..

ويجيب شارون على ذلك : تهانينا تمت الموافقة على عملية أصحابنا ..

* * *

يا سادة .. قبل أن نمتلك ناصية الشجاعة ، ونكتب مأساة صبرا وشاتيلا ، نعم الشجاعة .. فإن قسوة ما حدث يجعل الكاتب يلقي بقلمه فزعاً مما يسمع .. ويسجل .. ويكتب ، لقد سافرت إلى تونس ، والتقيت بمن قدر لهم النجاة من المخيم ، والتقيت في القاهرة بمن جاءوا بعد المذبحة ، وقرأت عدة كتب عن المذبحة ، ولقد سبق لي أن قرأت عن المذابح التي حدثت في كل التاريخ الإنساني ، من مذبحة محمد علي والي مصر ضد المماليك في القلعة ، إلى مذابح النازية ، إلى تلك المذابح التي حدثت لليهود في أسبانيا وروسيا ، وهي المذابح التي صدرت عنها أطنان من الكتب وعشرات الروايات ، ومئات الأفلام الروائية ، ولكن كل ماقرأت ، لا يقارن بذلك الذي حدث في صبرا وشاتيلا ، إن الكلمات قد وقفت عاجزة تماماً عن وصف البربرية الإسرائيلية في صبرا وشاتيلا ، وأن ما حدث من مجزرة ضد الصغار والنساء ، لم يحدث في كل التاريخ .. ورغم ذلك فمازالت إسرائيل تطلق على الفلسطينيين الإرهابيين ، ورغم ذلك فما زال العالم يصدق القول الإسرائيلي ، ورغم ذلك فإن أجهزة الإعلام الإسرائيلية تحاول أن تضغط على عقول البشر في كل أنحاء الدنيا لكي تنسى تلك المأساة المفرطة في الوحشية والقسوة ومازلنا – كعرب – غاية في التقصير في عرض هذه المجزرة على الرأي العام ..

أقول .. ان بعض الكتاب في الغرب قد استطاعوا تقديم صورة لما حدث في صبرا وشاتيلا ..

أقول .. ان بعض صحافة الغرب ، وفي الولايات المتحدة ، قدمت جانباً من المجزرة ..

وأقول .. ان أجهزة الإعلام الغربية ، لم تمكنها قسوة المجزرة من السكوت عليها ، وأن البشاعة التي حدثت ونفذت بها تلك المجزرة ، أنستهم – ولو للحظات – انتماءاتهم

السياسية ، وتأييدهم المطلق لصناع المجزرة « إسرائيل » ..

ولكن .. هنا .. لم نتمكن من تقديمها ..

بل إن أجهزة إعلامنا العربية تحاول أن تنسينا أبشع جريمة ارتكبتها « دولة إسرائيل » ..

يا مادة ..

لقد كانت هذه المجزرة هي دافعي لكتابة هذا الكتاب ..

يا كتاب العربيـــة ..

نريد أن نقرأ ونسجل أحداث هذه المجزرة التي لم يحدث مثلها في التاريخ ..

نريد أن نلقنها للأجيال القادمة .. ليعرفوا دائماً ماذا فعلت بهم « دولة إسرائيل » ..

نريد أن نقيم مهرجاناً للشعر .. نتحدث فيه ، في ذكرى المجزرة عن ضحاياها ..

نريد أن نقيم مهرجاناً سنوياً للقصة نتحدث فيه عن أعداء البشرية الذين اقتحموا مخيمي صبرا وشاتيلا ..

فيا كتاب العربية .. لا تكونوا شياطين خرسا ..

* * *

والآن .. ماذا يعني مخيما صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين ؟

إن إسرائيل تتخيل أن المخيم الفلسطيني في أي مكان كالجيتو اليهودي ولكن المخيم الفلسطيني يختلف تماماً عن « الجيتو » ، إنه مكان يأوي كل الفقراء سواء أكانوا فلسطينيين أم غير فلسطينيين ، وسواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين ثم .. وليس له قوانين خاصة ، ولا طقوس خاصة ، بعكس الجيتو تماماً ، الذي يضم اليهود فقط ، ويمارسون فيه طقوسهم ، فالمخيم تجمع علماني للفقراء ، والجيتو تجمع عنصري لليهود .. ولأن هذا المفهوم بعيد عن أذهان قيادة المؤسسة العسكرية وتصورهم أن « المخيم » وحدة ممكن أن تنطلق منه « صهيونية » فلسطينية .. مما جعل كل المخيمات في كل مكان هدفاً استراتيجياً لقوات إسرائيل الإرهابية ..

* * *

الآن .. قد اكتمل الإعداد للخطة الإسرائيلية للقيام بالمجزرة .. وعرف كل فرد من أفراد القوات الإسرائيلية .. وقوات الكتائب دوره في القيام بالمجزرة ..

وجاءت ساعة الصفر ..

وكانت في الخامسة بعد الظهر من يوم الخميس ..

كان كل سكان المخيم بداخله ..

وكان الرجال قد تركوا المخيم ورحلوا من لبنان ، فإن أغلبهم من مقاتلي قوات منظمة التحرير الفلسطينية ، وبقي في المخيم النساء والأطفال والشيوخ ..

وكان ياسر عرفات قد حصل على وعد أمريكي بحماية المخيمات الفلسطينية في لبنان ..

* * *

قوات إيلي حبيقة تجمعت في مطار بيروت الدولي ، ثم اتجهت إلى المخيمات .. حيث أطلقت المدفعية الإسرائيلية قنابل مضيئة لكي تتمكن القوات الكتائبية من دخول المخيمين ، ثم قامت المدفعية الإسرائيلية بإطلاق قذائف الهاون ، وقذائف المدفعية .. ثم توقفت لتبدأ قوات الكتائب بالمجزرة ..

خرج السكان من بيوتهم في المخيم ، وقد تصوروا وصول قوات فلسطينية إليهم ، إلا أن قوات الكتائب بدأت في حصد كل ما يتحرك أمامهم ، سواء كان طفلاً صغيراً يبكي بحثاً عن أمه، أم امرأة تبحث عن طفلها، أم شيخا لا يعرف المقاومة.. وسقط المئات، ثم بدأ بعض الصغار ، مما لا تتجاوز أعمارهم اثنى عشر عاماً مقاومة قوات الكتائب ، ولكن هؤلاء سقطوا قتلى لأنهم لا يملكون من الأسلحة أكثر من بنادق .. ولأنهم لا خبرة لهم بالقتال ..

طلب إيلي حبيقة من القوات الإسرائيلية – عبر لاسلكي الاتصال – بإلقاء قنابل مضيئة حتى يمكن اقتحام المنازل ، واستطاعت المدفعية الإسرائيلية أن تحول أرض المخيمين إلى نهار بسبب القنابل المضيئة ، واقتحم رجال الكتائب البيوت والعشش .. واستخدموا السلاح الأبيض في قتل السكان ..

ما كانت الساعة تكفي لذبح كل سكان المخيم ..

استمر الذبح ابتداء من الخامسة مساء يوم الخميس ، وطول يوم الجمعة .. ثم صباح السبت ، حتى طلبت إسرائيل من صنيعتهم حبيقة بالتوقف ، وتوقف حبيقة وقواته ،

وكان المخيم قد خلا من السكان أو كاد ، سواء بالموت من الرصاص ، أو الذبح بالسكين ، أو الهروب ..

* * *

بعد ظهر يوم الجمعة ، ومع اقتراب أصوات إطلاق النار أكثر فأكثر من المدرسة حيث كانوا يختبئون قرر الأخوان علوقي وأشخاص آخرون أن يحاولوا الهرب إلى كورنيش المزرعة والخطوط الإسرائيلية ..

تحرك الجمع رافعين علماً أبيض من المدرسة عبر شارع محمد علي بيهم إلى كورنيش المزرعة ، عندما اقتربوا من نقطة التفتيش الإسرائيلية المقامة على الشارع الرئيسي على زاوية مستشفى البربير أوقفهم جندي إسرائيلي ، وحسب جميع الروايات كان واضحاً أن الجندي قد فوجيء ، وربما كان قد أصيب بالخوف لدى رؤيته كل أولئك الناس قادمين إليه .. صاح الجندي في الجمع باللغة العربية أن يعودوا من حيث أتوا .. ثم دخل في موقع حصين أقيم على زاوية بناية وصوب بندقيته في اتجاه الناس الذين بدأوا على الفور ، يصرخون هلعاً وعادوا أدراجهم ..

تذكر أفراد من الجمع ، أن الجندي أخبرهم حينئذ أن يبعثوا شخصاً منهم يفسر ما يريدون . اختير رجل وأرسل ليتكلم مع الإسرائيلي ..

وكما قال الناس ، أخبر الناطق باسمهم ، الجندي أن ميليشيا الكتائب يذبحون مدنيين في المخيمات وأنهم يحاولون الهرب ..

أخبر الجندي الإسرائيلي ، الناطق باسم الناس أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً وأضاف قائلاً انهم إذا بقوا في المنطقة فإنه سيطلق عليهم النار ..

بدأ الناس يحتجون ، بدأت النساء يبكين ، ذكر أن الجندي الإسرائيلي أطلق حينئذ طلقتين من بندقيته في الهواء ليفرق الجمع المحتشد ، ويقول الشهود ، انه في تلك اللحظة تحركت دبابة إسرائيلية من كورنيش المزرعة إلى شارع محمد علي بيهم ولاحقت الناس عشرات الأمتار ليعودوا باتجاه المخيمات ..

الصحافيون الذين ذهبوا إلى تقاطع المرور ، ذاك ، بعد ظهر يوم الخميس ، وجدوا رجلاً لبنانياً يعيش في شقة على الطابق الأول ، وقال لهم أنه رأى القصة بكاملها من شرفة منزله .. وأكد القصة التي رواها اللاجئون دون أي تعديل .. إذا صدقت رواية اللاجئين ، فإنه يتضح أنه حتى ما بعد ظهر يوم الجمعة ، لم يصدر القادة الإسرائيليون أي

أمر بالسماح للمدنيين بالهروب من الساحة والمرور عبر الطوق الذي يقيمه الجيش الإسرائيلي حول المخيمات ..

« إذا ذهبنا في طريق وقعنا بين أيدي الإسرائيليين ، وإذا ذهبنا في الطريق الآخر وقعنا بين أيدي الكتائب ، قال طالب علوقي ، ولهذا قررنا نحن جميعاً أن نعود أدراجنا وأن نختبىء في المدرسة » ..

وبعد ذلك بحوالي أسبوع كانوا مايزالون هناك ..

القصص مروعة .. والقصص كثيرة .. بعدد الذين استشهدوا من الفلسطينيين في هذين المخيمين .. وبعدد الذين شهدوا الرعب والموت كله وكتبت له الحياة ..

في المخيم ، أو بالقرب منه ، مستشفى أقامتها منظمة التحرير الفلسطينية .. للعناية بسكان المخيمين ، ويعمل بهذا المستشفى عدد من الأطباء الفلسطينيين والأجانب ، وعندما بدأت المجزرة ، كان بالمستشفى حوالي عشرون طبيباً وممرضة أجنبياً ، فماذا حدث في المستشفى ؟ :

في حوالي السابعة صباحاً من يوم الجمعة ، جاء إلى المستشفى ستة أو سبعة رجال من الميليشيات وأمروا الجميع بالخروج ، يقول الطاقم الطبي :

– في حوالي السابعة صباحاً ، جاء إلى المستشفى ستة أو سبعة رجال من الميليشيا وأمروا الجميع بالخروج منه ..

أخبرناهم بأننا لا نستطيع أن نترك المرضى ، قالت الآنسة أولوف الممرضة الهولندية ، فقالوا يستطيع إثنان منا أن يبقيا بعدكم كي يعتنوا بهم ، وتذكرت الآنسة أولوف ، كانوا جميعاً مسلحين ومجهزين تجهيزاً جيداً جداً ، بعضهم كانوا يرتدون خوذات من النوع الإسرائيلي عليها صحيفة معدنية رقيقة ، وفي الحقيقة في البداية اعتقدنا أنهم إسرائيليون ، قالوا ينبغي علينا أن نسير معهم ، وكلما اقتربنا من شاتيلا أكثر فأكثر ، رأينا أكثر فأكثر من رجال الميليشيات أولئك ، وبعضهم يلبسون أغطية رأس .. (طاقيات) سوداء ، ومن المعروف أن رجال الميليشيات الكتائبية يفضلون لبس الطاقيات السوداء ..

كان يختبىء مع مجموعة الأطباء والممرضين الأجانب ، ممرضان فلسطينيان كانا يحاولان أن يتسللا عبر شبكة رجال الميليشيات ليهربا ..

قال الدكتور مالوشاغن : « كنا خائفين جداً ، عندما دخلنا مخيم شاتيلا وجدنا جميع أولئك الناس يجلسون على طول الشارع الرئيسي ، وبينما كنا نسير سحب أحد رجال الميليشيات واحداً من الممرضين الفلسطينيين خارج الصف وسأله عن هويته ..

قال الطبيب : سألناهم ماذا سيفعلون به ..

قال رجل الميليشيات : قم أنت بشغلك وأنا أتولى شغلي ..

ثم أخذوا الرجل في ركن بناية وسمعنا صوت طلقات الرصاص . هذا كل ما نعرفه ..

وأثناء سيرنا ، سحب الممرض الفلسطيني الآخر خارج الصف ، أيضاً ، كما يقول الشهود ، ولم يعرف مصيره ..

• إعدام في الشارع :

قال كثير من الشهود انه في لحظة ما ، أوقف رجال الميليشيات رجلاً يرتدي الزي الأزرق للمستشفى يسير مع مجموعة الأجانب من مستشفى غزة ، وسألوه عن هويته وعندما عرفوا أنه فلسطيني أعدموه بالرصاص في الشارع .

* * *

انتهت المذبحـــة ..

وقتل من قتل ..

وظهر السبت .. بعد انسحاب قوات المجزرة .. ساد المخيمين سكون رهيب كسكون المقابر ، واختفت بعض الجثث ، ودفن في أرض المخيمين البعض الآخر .. ولكن جانباً كبيراً من جثث الشهداء ظل في طرقات المخيمين ، كشاهد على تلك المجزرة الإسرائيلية التي لم تحدث في كل التاريخ ..

انسحب الكتائبيون تماماً من المخيمين ، واقتربت المصفحات الإسرائيلية من مداخل المخيمين ، معلنة بذلك أن الخطة الإسرائيلية للمجزرة قد نفذت بنجاح ، وأن كل شيء قد انتهى ..

وبدأ الناجون من المذبحة يظهرون من مخابئهم ، وبدأوا يبحثون بين الجثث عن ذويهم ، وشهدت الشوارع الرئيسية للمخيمين ، مشهداً تراجيدياً جديداً يختلف عن مشاهد العنف السابقة ..

الطفل الذي وجد أمه فارتمى عليها يبكي ..

الأم التي وجدت جثث أولادها الأربعة ..

العجوز الذي يبحث عن أولاده في مقبرة جماعية ..

لقد اختلطت الدموع بالنحيب بالبكاء بالعويل بالدعاء بآيات القرآن الكريم بنداءات الانتقام ، بالرحمة ..

* * *

وتعددت الجهات والهيئات التي شاركت في عمليات البحث عن الجثث والقيام بعمليات الدفن حيث وصلت إلى ١٢ هيئة وجمعية كما تضاربت الأرقام الحقيقية لعدد الضحايا ، فقد ذكر بيان أصدره الصليب الأحمر في ٢٢ أيلول ١٩٨٢ أنه تم العثور على ٦٦٣ جثة وفي ١٤ تشرين أول ١٩٨٢ نشرت إحدى الصحف اللبنانية المسائية نقلاً عن مصادر حكومية لبنانية أنه تم العثور على ٧٦٢ جثة منها ٢٦٢ جثة دفنت في قبور جماعية ولم يتم التعرف على أصحابها و ٣٠٢ جثة عرف أصحابها وتم حرقها من قبل فرق الإغاثة و ٣٤٨ جثة عرف أصحابها ودفنت بمعرفة الصليب الأحمر ..

مصادر حكومية لبنانية أفادت أن حوالي ١٢٠٠ جثة دفنت من قبل أصحابها وذويها وبذلك يصل عدد الضحايا إلى ألفي ضحية ، يضاف إلى هذا العدد ثلاث مجموعات من الضحايا ..

– مجموعة دفن المهاجمون أصحابها في حفر جماعية أثناء المذبحة فأصبح من المستحيل معرفة عددها الصحيح خاصة أن السلطات اللبنانية منعت منعاً باتاً فتح هذه الحفرة وتشير التقديرات إلى أن عدد الجثث في هذه الحفرة يصل إلى عدة مئات ..

– ومجموعة بقيت تحت أنقاض المنازل ومن الصعب معرفة عدد أصحابها وقيل أنها لعدة مئات وحالت شدة تعفنها دون استخراجها ..

– ومجموعة تضم المفقودين الذين قدرت وكالة الأنباء الفرنسية عددهم بحوالي ألفين وهؤلاء هم الذين نقلوا بالشاحنات ..

وإذا تم تجميع أعداد هذه المجموعات فإن عدد الضحايا يصل إلى مابين ٣٠٠٠ – ٣٥٠٠ ضحية ذبحوا في حوالي أربعين ساعة بين أيام ١٦ ، ١٧ ، ١٨/٩/١٩٨٢ ..

وكتب آمنون كابليوك : « بدأت المذبحة في الحال ، واستمرت أكثر من أربعين

ساعة ، دون انقطاع (...) خلال الساعات الأولى قتل المسلحون مئات الأشخاص .. وكانوا يطلقون النار على كل ما يتحرك في الأزقة .. وقد حطموا أبواب المنازل وصفوا أسراً بكاملها كانت تتناول العشاء .. وقد قتل بعض الأهالي في أسرتهم بلباس النوم ، كما وجد في العديد من المساكن أطفال في الثالثة أو الرابعة من العمر كانوا أيضاً في لباس النوم ، تغطيهم بطانيات ملطخة بالدماء (...) في حالات عديدة كان المعتدون يبترون أعضاء ضحاياهم قبل القضاء عليهم .. وكانوا يسحقون رؤوس الأطفال والرضع على الجدران .. نساء وصبايا اغتصبن قبل أن يذبحن بالبلط .. أحياناً كان الرجال يجرون من بيوتهم ليعدموا جماعياً وعلى عجل في الشارع بالبلطة والسكين ، نشر المسلحون الرعب وأخذوا يبيدون دون تمييز الرجال والنساء ، والأطفال ، والشيوخ (...) لقد عثروا على أيد نسائية بترت عند المعصم كي يمكن سرقة المجوهرات ؟ ..

* * *

تحت ضغط الرأي العام العالمي ، بادرت إسرائيل بتشكيل لجنة تحقيق تسمى لجنة كاهان ، واستمعت اللجنة إلى قادة الجريمة من الإسرائيليين ، ومما يذكر هنا أن مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل قد بدأ حياته بمجزرة دير ياسين وأراد أن ينهي حياته بمجزرة صبرا وشاتيلا ..

* * *

يوضح هنا العقيد أبو الطيب قائد قوات المجموعة ١٧ .. يقول :

١ – ان المجزرة التي جرت في مخيمي صبرا وشاتيلا ليست وليدة لحظة غضب عفوي فجره اغتيال بشير الجميل ..

٢ – هدم المنازل والبيوت الفلسطينية في أي مكان يتواجد فيه الفلسطينيون سياسة إسرائيلية صهيونية تشكلت مع تشكيل العصابات الصهيونية منذ أول لحظة في احتلالهم أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ .. من أجل ترحيل الفلسطينيين إلى أبعد مكان ممكن من وطنهم كذلك لإعاقة تجمعهم في مساكن متقاربة مما سيوحدهم ويولد عندهم شعور المشاركة والنضال من أجل الوطن،لذلك على الفلسطيني أينما وجد أن يبقى بلا بيت وبلا أقرباء ..

٣ – ان (البلدوزرات) التي دخلت المخيم كانت تهدف إلى هدف واحد وهو إتمام مهمة الكتائب وذلك بهدم المنازل والجثث بحيث تختفي آثار الجرائم وما قالته حكومة العدوان هذه (البلدوزرات) للمساعدة في رفع الحواجز والمتاريس المتبقية خلف المقاتلين لسبب واضح وبسيط وهو أنه لم يكن هناك آية حواجز أو متاريس فلقد أزيلت كلها قبل المذبحة بأيام ..

٤ – في ٧ نوفمبر بعد المذبحة صرح الجنرال شارون أمام لجنة التحقيق قائلاً : لقد كنا نعرف أنهم يريدون هدم المخيمين ..

وأكد ذلك بعضهم ويعني « الكتائب » . فقد قالوا انهم يريدون أن يقيموا في مكان المخيمين حديقة للحيوانات ..

٥ – ان سياسة هدم المنازل لتشريد سكانها لم تكن جديدة على العدو الصهيوني ومارسها عشرات المرات ومنذ بداية الحرب في يونيو ١٩٨٢ ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجنوب تتعرض للقصف والهدم (بالديناميت) وبالبلدوزر .

وقد أطلق على هذه العمليات في إسرائيل اسم عملية « تحطيم البنية التحتية للإرهابيين ورجال منظمة التحرير » ..

٦ – الحيلولة دائماً من أن ينتظم الفلسطينيون في جماعة وطنية في لبنان ولذلك فيجب أن تدمر كل المؤسسات الفلسطينية .. : المدارس ، .. المستشفيات ، مراكز الإسعاف والنشاط الاجتماعي على اختلاف أنواعها ، دور النشر والكتب مراكز الأبحاث الفلسطينية ، الفلسطينيين المتعلمين ، مراكز الشبيبة الفلسطينية بالذات ..

تهجير الفلسطينيين من لبنان إلى سوريا كما جاء على لسان الوزير الصهيوني ياكوف ميريدور والمعنى في الحكومة بشئون اللاجئين ..

حيث صرح بما يلي : ادفعوهم إلى الشرق نحو سوريا ، اتركوهم يذهبون ولا تتركوهم يعودون أبداً .. لقد شطب هذا الوزير من كوادر الاحتياط لتصريحه العلني هذا ، لأنه بذلك يكشف علناً الدور الإسرائيلي في لبنان ولأنه أيضاً كشف عن بعض الأشياء التي تتعلق بالحرب الفلسطينية في لبنان ..

ولنستمع إلى شهادات أخرى من الذين بقوا على قيد الحياة ، أو الذين شاهدوا المجزرة عن قرب ..

ورقم ٢٠٠٠ له إيحاءات ومدلولات خفية وغريبة ، إذا أخذنا في الاعتبار أن الحكومة

الأمريكية تعترف أنه ليس لديها دليل على بقاء أي مقاتلين في المخيمين .. ففي اتفاق حبيب ، قبلت إسرائيل بعدد الـ ٧١٠٠ فدائي من منظمة التحرير الفلسطينية والـ ٢٥٠٠ جنود فلسطينيين أو سوريين آخرين ، وبالحساب الأمريكي فإن ٨٣٠٠ مقاتل من منظمة التحرير الفلسطينية ، و ٣٦٠٠ مقاتل آخرون قد غادروا (بيروت فعلاً) ..

لذا ، فإن إسرائيل كانت تعرف أنه لم يتبق في بيروت أي جنود تابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وحتى بعد أحد عشر يوماً من الاحتلال فإن إسرائيل لم تعط الدليل على وجود هؤلاء الألفي « إرهابي » ، وإذا اعتبرنا أن القيادة الإسرائيلية تعتبر أن منظمة التحرير الفلسطينية بكاملها إرهابيون ، وأن هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم من منظمة التحرير الفلسطينية أو أنصار لمنظمة التحرير الفلسطينية يعتبرون إرهابيين أيضاً ، وهكذا فطبقاً للمنطق الصهيوني فإن سكان المخيمات يعتبرون إرهابيين .. ويمكن أن يشكل هذا منطلقاً لشرح القرار بالسماح للكتائبيين بالاستمرار في القتل لمدة يوم إضافي ، حتى يوم السبت ، فمن المرجح أن الهدف المقر المعلن للعثور على ٢٠٠٠ إرهابي ، سيتحقق في ذلك الوقت ..

وسبب آخر يمكن أن يفسر إطالة أمد المجزرة ، وهو ضرورة تدمير أي أناس يمكن أن يتمكنوا من تقديم الدليل على النشاط الذي حدث يومي الأربعاء والخميس أي يومي بداية المجزرة ، قبل أن يدخل الكتائبيون المخيمين ..

● **شـــــهادة :**

« سمير أيوب ، فلسطيني ، أستاذ اجتماع في جامعة بيروت العربية .. قال إنه تحدث مع حوالي عشرة أشخاص ممن بقوا أحياء ، من بينهم عدد ممن هربوا إلى منزله الذي يبعد عن المخيمين مالا يقل عن ٢ كيلو متر » ..

« في وقت مبكر من يوم الخميس سمعوا صوت أناس يئنون ويصرخون قال سمير :

– سمع الجنود الإسرائيليون صوت إطلاق النار ولكن المسئولين قالوا انهم افترضوا أنه يعني أن رجال الميليشيات يواجهون مقاومة مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية ..

فتاة يبلغ عمرها ١٧ سنة ، قالت ان اسمها أمل ، هربت مع أمها وأختها عبر أزقة جانبية إلى مستشفى عكا ، وأعطت هذا الوصف للمذبحة :

– بدأ الناس يصرخون ويصيحون : « انهم يذبحون ، انهم يذبحونهم .. بدأنا نصدق ما يقولون عندما أخذوا يجلبون الجرحى .. المجروحين بطعنات أطلقت عليهم من مسافة

قريبة سمعنا أن رجالاً مسلحين صفوا ثلاثين رجلاً أمام جدار وأطلقوا عليهم النيران ..

كان يوم الجمعة ، يوماً آخر من أيام الرعب العشوائي ، هرب عدد قليل من المدنيين ، ليحكوا حكايات عن القتل الجماعي . لم يبد أحد كثيراً من الاهتمام ..

بعد ذلك ، صباح يوم الجمعة ١٧ سبتمبر / أيلول غادر أربعة أطباء مستشفى عكا ، وهم يحملون راية بيضاء كي يدخلوا إلى مخيم صبرا ، ألقيت عليهم قنبلة وقتلت ثلاثة منهم وجرحت الرابع ..

● **شهادات المراسلين :**

المراسلون الذين حاولوا أن يدخلوا المخيمين أثناء نهار يوم الجمعة طردهم رجال الميليشيات .. كان باستطاعتهم أن يسمعوا أصوات إطلاق النار آتية من داخل المخيمين .. وفي حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر ، بدأ طاقم تلفزيوني دنماركي في تصوير المدخل الجنوبي للمخيم ، أوقف رجال الميليشيات المسلحون النساء ومنعوا من مغادرة المخيم ، لوحت إحدى النساء بجواز سفرها ، أو بطاقة هويتها ، وصرخت قائلة « لبنانية ، لبنانية ، إلا أنهم أعادوها أيضاً داخل المخيم ، قال الطاقم التلفزيوني أن فيلمهم أظهر أن رجال الميليشيات تابعين للرائد حداد ..

رجل عجوز شوهد يمشي في المخيم ، وجد بعد ذلك مقتولاً برصاصة في الرأس ، وتعرف عليه جار له بأنه السيد نوري وعمره تسعون سنة ..

حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر ، سأل جايمس برينغل ، مراسل مجلة النيوزويك ، أحد رجال الميليشيات خارج المخيم ، من أين جاء ، وأجاب الرجل أتيت من الجنوب ، مما يعني أنه واحد من رجال الرائد حداد ..

سأل السيد برينغل ، ماذا يحدث في الداخل ، وقال إن الرجل أجابه حسناً أننا نذبحهم ..

قال عقيد إسرائيلي عبر الشارع إن الإسرائيليين لم يدخلوا المخيم ، وحين سئل عن احتمال أن يخرج رجال الميليشيات عن الطوع ، أجاب : آمل ألا يحدث ذلك ، قال مزيد من الناجين أن المهاجمين كانوا يلبسون زي رجال الرائد حداد ، ويتكلمون لهجة لبنانية جنوبية ..

في وقت ما خلال نهار الجمعة ، تحركت الجرافات إلى الداخل وبدأت في جرف الجثث تحت حطام المباني المهدمة ، ظل الجنود الإسرائيليون خارج المخيمين .

● **أم كايد فلسطينية** : لا أستطيع أن أنسى ما فعله الوحوش بالنساء والأطفال .. كدت أفقد عقلي عندما بقروا بطن أم مبارك الحامل في شهرها التاسع بسكين طويلة وبعثروا أحشاءها وأخرجوا الطفل وأجهزوا عليه بالرصاص .. قتلوا عفاف بنت محمود ووالدها .. قتلوا صالح الطيبي وأخاه أحمد .. قتلوا ماجد خربي وأحمد حشمي وعبد السلام بركة .. قتلوا علي الطوخي وسعيد العابدي وموسى العابدي وإبراهيم العابدي ووالدهم المسكين .. قتلوا رجلاً اسمه ماضي وأخاه محمد ووالدهما .. قتلوا قاسم أبو حرب ووالده وأخويه وليد ومحمود ..

أما جارتي التي كانت تسكن قبالتي ، فبقيت مع عائلتها لأنها لم تنتبه إلى ما كان يحدث ، فنحن نعيش منذ مدة وسط دوي القذائف وصوت الرصاص ، .. وجدناها موثقة اليدين مذبوحة .. انتزعوا سروالها ، وأعتقد أنهم اغتصبوها .. أما أفراد عائلتها فلم نجد لهم أثراً ..

تعال معي أريك كيف قتلوا أبو علي مقدأد .. قتلوه وقطعوا يديه بالبلطات .. فصلوا رأسه عن جسده ..

اضحك يا أبو علي .. وراك رجال راح ينتقموا .. استفردوا فينا يا أبو علي بعد ماراح الأبطال ..

كانت أم كايد تندب « أبو علي » المذبوح وإلى جانبه بركة من الدماء .. وعلى بعد مترين كان رأسه منتصباً وقد شوهت ضربات السكين معالم وجهه ..

لبناني رفض ذكر اسمه : « كنت وزوجتي نغادر مخيم شاتيلا بعد زيارة لأقربائي هناك ، وجاء المسلحون في سيارات عسكرية إسرائيلية .. كانوا يرتدون لباساً مدنياً .. بدأوا يطلقون النار على كل جسم متحرك .. ركض أبناء المخيم في كل اتجاه طالبين النجاة .. انهمر علينا الرصاص من الخلف ونحن نركض .. ولكننا لم نتوقف .. وصلنا إلى مشارف المخيم من الجهة الشرقية .. فوجئنا بمجموعة من الإسرائيليين يقيمون حاجزاً على الطريق .. تقدموا مني فأبرزت هويتي اللبنانية على الفور .. ولكنهم انهالوا على ضربا بالهراوات .. حاولت زوجتي أن تصرخ فلم تستطع .. كان الدم ينزف من صدرها ، بصقوا عليها ، وراحوا يتحدثون بلغة لم أفهم منها شيئاً .. وفي هذا الوقت صاح أحدهم مشيراً إلى عائلة

كانت تحاول الخروج من المخيم .. وانطلق هو ورفاقه وراء العائلة وهم يطلقون الرصاص ..

وكانت هذه فرصتنا ، تحاملت على نفسي ، وساعدت زوجتي على النهوض .. كانت كلما سارت تقع على الأرض .. تمكنا من الوصول إلى الطريق الآخر ولكن زوجتي سقطت صريعة .. وجلست بجوارها أبكي إلى أن جاءني رجل وشدني إلى بيته القريب ..

● **حسين المقداد – لبناني** : وقفت دقائق وسط الشارع ، لا أدري أين أتوجه ، أفقت على صراخ امرأة وهي تشدني بقوة من قميصي وتقول : اهرب ، إنهم يذبحون الجميع .. لماذا تقف كالأبله ؟ حاولت أن استوضح الأمر ولكنها غابت بين الناس ..

بدأت أركض .. سمعت صوتاً يقول : قف وإلا قتلناك .. حاولت الالتفات .. سمعت أصوات طلقات نارية ، وظللت أركض وأركض ، بدأت أشعر بثقل في ساقي اليسرى ، وأن سائلاً ساخناً ينساب عليها .. ولحقت بالنساء والأطفال والشيوخ الهاربين .. بدأوا ينظرون إليَّ ويتهامسون ، اقترب مني أحد الرجال وقال : أنت مصاب ، إنك تنزف ، يجب أن تذهب إلى المستشفى ..

بعد ثلاثة أيام ، قال لي أحد أقربائي : لقد نسفوا بيتك ، ووجدنا زوجتك مربوطة ومذبوحة وسكاكين القتلة عملت في أجساد أطفالك .. لقد تمكنا من دفنهم .. وبعد أن تشفى يمكنك زيارتهم ..

● **يسرية عطية العموشي – مصرية** : دخلوا ملجأين بالقرب من مستشفى عكا ، وقتلوا جميع العائلات التي كانت بداخلهما ثم قاموا بنسف الملجأين بالديناميت ..

سمعت أصوات الإنفجارات عند الساعة السادسة مع حلول الظلام ، لا أعرف كيف حملتني ساقاي على الهرب . عدت يوم السبت ، ووجدت رجال الإسعاف ينتشلون الجثث .. لم يكن سهلاً التعرف على أي من الضحايا ..

● **لبنانيـــة** : كنت في الملجأ مع زوجي وأولادي الخمسة ، حيث اختبأ مايزيد على سبعين شخصاً أثناء القصف الوحشي .. ابنة الجيران واسمها « عايدة » أبو ردينة ، وتبلغ من العمر تسعة عشر عاماً ، قالت : سأخرج لأحضر بطاقات الهوية أنا فتاة ولن يعترضوني ..

وبعد لحظات سمعنا طلقات الرصاص وصرخة ، ثم صمت . وصمم والدها العجوز أن يخرج لكي يستطلع الأمر . حاولنا منعه دون جدوى ، وخرج ولقي مصير ابنته عايدة ..

حبسنا أنفاسنا ولم يقو إنسان منا على التحرك داخل الملجأ خوفاً من اكتشاف أمرنا ، لكنهم قدموا ، طلبوا منا الخروج من الملجأ ، قلنا لهم نحن نسوة ومعنا أطفال لكنهم أصروا على خروجنا ، فرزوا الرجال والأولاد ، طلبوا منهم الانبطاح على الأرض .. ورشوهم بالرصاص .. صرخنا وركضنا لحماية رجالنا ، ولكنهم لم يرحمونا ، قتلوا امرأتين وأصابوا أكثر من ثلاث نساء بجراح ..

بعد ذلك أخذوا ثلاث فتيات وربطوهن بالحبال واغتصبوهن على مرأى منا ..

● **منير – فلسطيني** : منير فتى فلسطيني في الثالثة عشرة من عمره ، استشهد والده وشقيقه في مذبحة تل الزعتر سنة ١٩٧٦ ، وانتقلت العائلة إلى مخيم الرشيدية قرب صور ، ثم انتقلت مرة ثانية إلى مخيم شاتيلا بعد الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان سنة ١٩٧٨ ..

كنت ووالدتي وشقيقي وشقيقاتي الثلاث في المنزل عندما بدأت القذائف تتساقط في كل مكان فتوجهنا إلى ملجأ قريب .. تجمعت فيه تسع عائلات أخرى .. في الساعة السابعة والنصف جاء المسلحون ، وطلبوا منا أن نخرج من الملجأ .. كان المخيم مضيئاً كأننا في وضح النهار ..

كانوا يتحدثون العربية بلهجة أهالي جنوب لبنان ، وكانوا يرتدون زياً عليه صورة شجرة أرز على الكتف اليمنى .. وشارة مستديرة عليها كتابات في أعلى الصدر .. ولم أتمكن من قراءة المكتوب على هذه الشارات ..

بدأوا في فرز الرجال والنساء والأطفال ، ووقف الرجال بمحاذاة الحائط وسرت أنا ضمن مجموعة النساء والأطفال ..

وعند رحيلي تمكنت من مشاهدة أفراد الميليشيات وهم يضربون الرجال بالعصي وكان الرجال يسقطون الواحد تلو الآخر ..

أخذونا إلى محطة بنزين قريبة . وتركونا في حراسة بضعة رجال بعد أن قالوا انتظرونا سنذهب لتناول العشاء ..

وما أن عادوا بعد ساعة حتى أطلقوا النار علينا .. وقع الجميع على الأرض .. عندئذ قالوا لنا : على الذين أصيبوا أن ينهضوا لننقلهم إلى المستشفى . لم أنهض برغم إصابتي وهمست في أذن أمي ، وكانت قد سقطت بجواري : لا تنهضي إنهم كاذبون ..

وبالفعل ، فقد أطلقوا النار على الجرحى للإجهاز عليهم ، وصوبوا عليهم ضوء

كشافاتهم للتحقيق من أنهم ماتوا جميعاً .. ووضعت رأسي على الأرض وحبست أنفاسي إلى أن رحلوا .. وقضيت الليل بجوار أسرتي ، من مات منهم ومن كان يحتضر .. ولم أشعر بموت أمي ..

وفي صباح يوم الجمعة عادوا لكي يضعوا علينا أغطية . ولاحظ أحدهم أنني أرتعش فأطلق النار مرتين .. لم تصبني الرصاصة الأولى ، أما الرصاصة الثانية التي كانت مصوبة إلى رأسي ، فقد أصابت خدي الأيمن الذي كنت أضع عليه يدي .. وأصابت الرصاصة سبابتي ولامست خدي ثم سقطت على الأرض .. وفرد القاتل الغطاء فوقنا فلم أعد أرى ولكنني سمعتهم ينادون سكان المخيم طالبين منهم الخروج والتجمع في « المدينة الرياضية » ..

بعد ذلك رحلوا ، ولم أعد أسمع شيئاً ، واغتنمت الفرصة لكي أنهض وسرت في أول شارع ضيق ، ودخلت أول منزل قابلني ، وأردت تغيير ملابسي التي كانت ملوثة بالدماء ..

فاجأني إثنان من الميليشيات ، وصرخا في وجهي : أنت لاتزال حياً .. سوف نقتلك كما قتلنا الآخرين أعطنا ما وجدته من ذهب ونقود . قلت لهم إنني لم أسرق شيئاً وكل ما فعلته في المنزل هو تغيير ملابسي وتوسلت إليهم أن يتركوني سألني أحدهم : هل أنت لبناني أم فلسطيني ؟ فأجبته بأنني لبناني . قال : اذهب لو كنت فلسطينياً لقتلناك ..

سرت نحو مخيم صبرا وأنا أعرج ، وأمام المسجد وجدت شباناً من المخيم أخذوني إلى مستشفى غزة ..

في المستشفى غاب منير عن الوعي ولم يستيقظ إلا في اليوم التالي حيث وجد نفسه في مستشفى وسط بيروت الغربية ، فقد نقله الصليب الأحمر الدولي إلى هناك ..

ويضيف عمه الذي عثر عليه : منذ يوم السبت الماضي وهو لا ينام .. ويسألنا دائماً : هل أنتم واثقون بأنهم لن يأتوا إلى هنا ؟ ..

● **علي خليل عفانة – طفل في الثامنة** : كانت الساعة الحادية عشرة والنصف سمعنا صوت انفجار كبير وتلاه صوت امرأة تئن ، وفجأة اقتحموا منزلنا ، واندفعوا كالذئاب يفتشون الغرف .. صاحت أمي تستنجد فأمطروها بالرصاص ، مد أبي يده يبحث عن شيء يدافع به عن نفسه ، لكن رصاصهم كان أسرع ، لم أقو على الصراخ ، فقد انهالوا عليَّ طعناً بالسكاكين ..

لا أدري ماذا جرى بعد ذلك ، لكنني وجدت نفسي في المستشفى كما تراني ، ملفوف الرأس والساقين ..

قال لي رفيق في المدرسة ، كان في زيارة أمه في المستشفى ، أن بيتنا تحول إلى أنقاض ... جاءت خالتي أمس لزيارتي ، فسألتها عن مصير إخوتي الثلاثة ولكنها لم تجب .. لقد ماتوا جميعاً ، أنا أعرف ذلك ..

وحاول أن يغطي وجهه بيديه ، كان يشعر أنه أكبر من دموع ساخنة انسابت بقوة على خديه الصغيرتين ..

● **شيخ فلسطيني** : شيخ عجوز ، جاوز الستين من عمره يتكىء على عصاه .. وعلى كتف حفيدته السمراء ، يسير بين أنقاض المخيم ، والأسى مرتسم على تجاعيد وجهه .. بحثت عن عائلتي داخل البيت بين الأنقاض ، ولم أجد أثراً لأحد منهم .. البيت تحول إلى أطلال ، قال لي رجال الإسعاف أن أتوجه إلى مسجد المخيم أو المدينة الرياضية ، للبحث عن عائلتي بين جثث الضحايا ..

في المسجد وجدت إحدى بناتي مربوطة اليدين والقدمين ، ومذبوحة وإلى جانبها طفلها الرضيع يشد صدر أمه .. هو الآخر طعنوه بالسكين ..

على بعد قدمين شاهدت زوجتي المسكينة .. كانت مذبوحة أيضاً .. يدها اليمنى كانت تمسك بذراع أحد أبنائي ، يبدو أنها دافعت عن ابنتها .. وبالقرب منها كانت ابنتي الصغرى مضرجة بدمائها .. تناثرت حولها أوراق ممزقة من القرآن الكريم .. وقد تبللت بالدم ..

هؤلاء المساكين .. اعتقدوا أن المسجد آمن فالتجأوا إليه ..

● **جميلة – لبنانية من مخيم شاتيلا** : يوم الخميس مساء سمعت الناس يركضون في الشارع وهم يصرخون .. تسللت أنا وابنتي أمل إلى مستشفى عكا حيث قضينا الليل ، وفي صباح يوم الجمعة عدت إلى المخيم لأطمئن على والدي ووالدتي وجدت البيت مهدماً ، ووجدت والدي المقعد في فراشه ، وبجواره كرسيه المتحرك أما والدتي فعثرت عليها جثة هامدة في الطريق ..

حاولت الرجوع إلى المستشفى .. فأمسك بي أحد المسلحين .. أبرزت بطاقتي اللبنانية ، فقادني إلى بيت قريب ، كان هناك أربعة آخرون اغتصبوني جميعاً ..

ليتهم قتلوني كما قتلوا أبي وأمي وأشقائي ، لقد قتل المجرمون ٢٤ فرداً من عائلتي ..

● **فاطمة علي شمس الدين – لبنانية** : كنا في المنزل عندما بدأ إطلاق الرصاص .. خرجت أبحث عن أختي ، فوجدتها في الطريق جثة هامدة وقد اخترق الرصاص ظهرها .. عدوت نحو المنزل لأحذر الجيران ، وصرخت فيهم أن يهربوا فقالوا لي نحن لبنانيون ولن يصيبنا شيء .. قضيت الليلة في المستشفى .. وعندما عدت في الصباح وجدتهم جميعاً جثثاً هامدة ..

● **أمينة أحمد حسين – فلسطينية** : أعرف أن زوجي وابني البالغ من العمر ١٥ سنة قد قتلا ، لكني لم أعثر حتى الآن على جثتيهما ، سمعت صوت طلقات الرصاص يوم الخميس ، وخلال الليل كان المسلحون يستخدمون المشاعل لإضاءة طرقات المخيم .. وفي يوم الجمعة أدركنا أنهم سيقتلوننا ، ففررنا إلى مستشفى عكا ، اقتحم المسلحون المستشفى ، وأخذوا معهم جميع الرجال الفلسطينيين ، ومن بينهم ابني وزوجي كانوا يسألون كل فرد عن جنسيته فإذا كان فلسطينياً أوقفوه بجوار الحائط .. وكانوا يضربونهم بأعقاب البنادق .. أخذوا النساء إلى استاد المدينة الرياضية وأمروهن بعدم العودة إلى المخيم ..

حاولت العودة إلى المخيم يوم السبت ، واقتربت مع آخرين من نقطة تفتيش إسرائيلية ، وقال لنا أحد الإسرائيليين : لماذا لا ترجعون مع هذه المنظمة إن هذا البلد ليس بلدكم ..

● **لبنانية – ممرضة في مستشفى عكا** : حاصروا المستشفى يوم الجمعة ، حاول حارس المستشفى عم أبو سعيد أن يستوقفهم لكنهم أمطروه بالرصاص ، ظل ينزف دون أن يقوى على مساعدته أو الاقتراب منه أحد .. وعبر مكبرات الصوت طلبوا من الجميع مغادرة المستشفى ..

قرر عدد من الأطباء أن يخرجوا لمقابلة المسلحين والتفاهم معهم .. رفعوا راية بيضاء وتقدموا نحو مدخل المستشفى .. لكن المسلحين قابلوا الراية البيضاء والرداء الأبيض بقنبلة ألقوها بين أقدام الأطباء ، سقط الأطباء على الأرض .. وكانوا ينزفون بغزارة .. أخذت زميلة لي حجراً وألقته على القتلة وهي تصرخ بجنون .. واندفعت نحو الأطباء لمساعدتهم فأمسك بها المجرمون .. صفعوها بقوة فوقعت على الأرض وقد أغمي عليها .. ومزقوا رداءها الأبيض .. وجروها على الطريق إلى الرصيف الآخر واغتصبوها .. تناوب عليها خمسة وحوش ..

واقتحم عدد من المسلحين المستشفى ، وطلبوا من الرجال الوقوف جانباً .. حاول بعض الأطباء الأجانب مساعدتنا ، لكن المسلحين سبوهم بالإنجليزية والفرنسية

والعبرية .. وصفع أحدهم طبيباً نرويجياً وبصق عليه ..

ساق المسلحون الرجال إلى جهة مجهولة ، أما نحن فقد حملونا في سيارة كبيرة توجهت إلى سن الفيل .. توقفت السيارة أمام مبنى كبير كان يرتفع على ساريته علم الكتائب .. تقدم منا أحد الضباط وسأل المسلحين : ما هذا جئتم بالنساء ؟ أريد الرجال .. ورد عليه المسلحون : قتلناهم يا سيدي .. ابتسم الضابط ابتسامة عريضة وهنأ القتلة على ما فعلوه وقال لهم أنتم أبطال ..

● **مصطفى جبرا – فلسطيني من مخيم شاتيلا** : كان عددنا يقارب الثلاثين اعتقلنا القتلة يوم الجمعة مساء ، أمرونا أن نصطف عند جدار أحد المنازل ، وبدأوا يطلقون علينا النار من أسلحة أتوماتيكية .. ولم نستطع أن نراهم بسبب الظلام ..

بعد رحيلهم ، سمعت شخصاً إلى جانبي يئن .. كان جريحاً سقط فوقه أحد الضحايا ، ساعدته على النهوض ، وزحفنا إلى منزل مهجور حيث مزقنا بعض الأقمشة وربطنا بها جراحنا النازفة .. وفي الصباح جاء بعض أهل المخيم ونقلونا إلى المستشفى ..

في صدري رصاصة عجز الأطباء عن إخراجها ، وفي ذراعي وساقي شظايا لرصاص متفجر ، حاول الأطباء إخراج الرصاص لكن الشظايا لا تزال موجودة فيها ..

زوجتي وأطفالي الثلاثة مفقودون ، لكن والدتي مريم تقول انهم موتى وتؤكد أن القتلة قطعوهم بالبلطات ..

● **وجنات زين عبد اللطيف – مصرية** : كان عدد كبير من المصريين يسكنون هنا في مخيم شاتيلا ، وكثيرون منهم مازلوا مفقودين مع عائلاتهم .. لكني عثرت على جثث العشرات منهم ..

ولجأت إلى مستشفى عزة يوم الجمعة عندما علمت بالمذبحة ، ولكنهم حاصرونا داخل المستشفى يوم السبت صباحاً ، وكان عدد اللاجئين إلى المستشفى يزيد على ١٠٠٠ شخص فصلوا الفلسطينيين عن الأجانب ، واقتادوهم رجالاً ونساء وأطفالاً إلى منطقة المدينة الرياضية ، هناك وضعوهم في حفرة عميقة ، أحدثتها صواريخ الطائرات خلال القصف الوحشي .. طلبوا منهم الانبطاح داخل الحفرة .. وصبت البنادق الرشاشة حممها داخل الحفرة .. بينما راحت ثلاث جرافات إسرائيلية تدفن الأحياء والأموات .. الكثير من الرجال حاولوا الإفلات من الجحيم دون جدوى فقد كان القتلة اليهود يطلقون النار عليهم ..

رأيت ذلك بعيني .. فقد لحقت بهم ، واختبأت خلف حائط قديم عملت أحداث القصف فيه بعض الثقوب ، رأيت من خلالها ما جرى دقيقة بدقيقة ..

كاد أحد المسلحين أن يكتشف أمري ، فقد صرخت دون إرادة عندما مرت الجرافات على أجساد الأطفال والرجال والنساء ..

بقيت هناك فترة لا أدري مداها ، مختبئة بين أكياس من القش .. كنت في شبه غيبوبة لا أعي شيئاً .. أفقت على صراخ النسوة وهن يبحثن عن أقربائهن القتلى .. أخبرت الصحفيين ورجال الإسعاف المدني ، لم يصدقوني ، ولكنهم عندما اكتشفوا الحقيقة طلبوا مني مغادرة المنطقة والاختباء ..

* * *

مازالت هذه المجزرة في حاجة إلى استمرارية إلقاء الضوء عليها ..

ومازالت هذه المجزرة لم تحصل على حقها في التسجيل التاريخي ..

وأتقدم لياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ، من خلال أوراق هذا الكتاب ، بأن يشكل لجنة من أساتذة التاريخ من الجامعات العربية والعالمية ، لتضع كتاباً ، ينشر بكافة لغات الدنيا عن تلك المجزرة التي لم يحدث مثلها في التاريخ البشري .. فلم يشهد موقع من مواقع الكرة الأرضية ، حمامات دم غزيرة مثلما شهدت أرض مخيمي صبرا وشاتيلا .. ولم يشهد بشر إرهابا وترويعا مثلما شهد سكان المخيمين ..

- **السفاح الذي قاد المجزرة :**

اليهود المخلصون لإسرائيل ، والعاقلون في كل أنحاء العالم الذين وقفوا بجوار اليهود ، واستنكروا المذابح التي أقيمت لهم .. كل هؤلاء طالبوا قادة إسرائيل بالتوقف عن المذابح التي يرتكبونها في حق الشعب الفلسطيني ، بل والشعوب العربية الأخرى ، في محاولة لإبادة الأول وإضعاف الثاني .. وقالوا انه لا يوجد دولة استمرت وهي قائمة على الإرهاب ، وطالبوا إسرائيل بالتخلي عن صهيونيتها ، .. وإقامة المجتمع العلماني حيث يعيش اليهود والعرب في مساواة كاملة ، وقدموا حلولاً كثيرة لإنقاذ إسرائيل من دمار محقق ، وقالوا أن قادة إسرائيل يحفرون قبر إسرائيل ذاتها بأيديهم ..

ولكن .. هل يمكن للقادة الاسرائيليين ، قبول هذه الحلول المعروضة عليهم ؟

لا يتصور أحد قبولهم هذا المنطق العقلاني ، والمنطقي ، ذلك أن هؤلاء القادة لا يملكون إلا الإرهاب فكراً وعقيدة وتاريخاً . بل من الواضح أن « الفكر الإرهابي » يسود في إسرائيل عن الفكر العقلاني ، وأنه يكتسب كل يوم أنصاراً جدداً، وأن أشد القادة إرهاباً في إسرائيل هم الآن المثل الأعلى لشباب إسرائيل اليوم ، إذن .. فلا أمل من أصوات العقل والمنطق وستظل إسرائيل بؤرة الإرهاب في الشرق الأوسط ، فإن هؤلاء الإرهابيين السابقين واللاحقين هم المثل الأعلى للأجيال القادمة في إسرائيل .. وهذه سيرة أريل شارون بطل المجزرة ، فهو أحد قادة إسرائيل ، ووزير دفاع ، والذي قاد القوات الإسرائيلية في ثغرة الدفرسوار عام ١٩٧٣ ، وهو الذي قاد مجازر الدولة في إسرائيل وفي نفس الوقت هو « بطل شعبي إسرائيلي » ، وسوف ننقل هنا تاريخ هذا السفاح من مقال نشرته مجلة « نيوزويك الأمريكية » :

– بغض النظر عن العناد والتمرد ، كانت إسرائيل بحاجة إلى ضباط شجعان ، ولم يكن هناك من هو أكثر عدوانية من شارون .. وذات مرة حين ذكر ديان فكرة أسر جنديين عربيين لمبادلتهم مع أسيرين إسرائيليين قفز شارون إلى سيارة جيب ، وتقدم عبر خط الهدنة ، وقبض على جنديين أردنيين .. وخلال هذه الفترة كان شعار فرقة ١٠١ هو « لن نعود حتى نحقق مهمتنا » وأما فيما يتعلق بالانتقام من العرب ، يقول شارون : كان الأمر على طريقة العين العين .. وأحياناً أكثر من ذلك ..

وأحياناً أكثر كثيراً ، ففي هجوم واحد على قرية قبية سنة ١٩٥٣ ، قتلت فرقة ١٠١ تسعة وستين مدنياً نصفهم من النساء والأطفال ، وذلك حين فجروا ٤٦ بيتاً في القرية .. ويقول شارون انهم لم يكونوا يعلمون أن الناس موجودون في البيوت .. ولكن الحادثة جلبت لإسرائيل أول إدانة في مجلس الأمن الدولي ..

وفي هجوم آخر سمي « السهم الأسود » ، في يوم ٢٨ فبراير / شباط ١٩٥٥ دخلت قوات شارون المظلية قطاع غزة ، الذي كان حينئذ تحت السيطرة المصرية وقتلت ٧٧ جندياً مصرياً ، بعضهم كانوا نائمين في خيامهم .. وطبقاً لما ذكره قائد مصر الجديد جمال عبد الناصر بنفسه ، أنه قرر حينئذ فقط أن يتوجه للاتحاد السوفيتي طلباً للسلاح الذي يحتاجه لمقاتلة إسرائيل .. وطوال السنوات الثماني عشر التالية أصبحت مصر زبوناً لموسكو .. وأدى هذا إلى حالة استياء حتى في إسرائيل ذاتها ، كان رئيس الوزراء موشيه شاريت قد أمر بعملية تسفر عن قتل ما لا يزيد عن تسعة مصريين وكتب شاريت في صحيفته : لقد أتحنا الإمكانية لكتيبة المظليين لكي تتسامى بالانتقام إلى مستوى المبدأ ..

وقد تعجب شارون كيف يمكن لفرد أن يعرف مسبقاً كم من الناس يمكن أن يقتلوا في هجوم ..

كان أحد البارزين في فرقة ١٠١ ، رجل يسمى مائير هارتسيون كانت أخت هارتسيون قد قتلت على يد البدو بمحض الصدفة حين عبرت حدود الأردن – وأثناء سعيه للانتقام ، اختطف هارتسيون أربعة أفراد بدو وذبحهم وتكمن أهمية الحادثة في أنها جعلت بن جوريون يكتب في مذكراته أنه إذا كان بإمكانه (شارون) أن يخلص نفسه من عدم قول الحقيقة – فإنه (شارون) سيكون نموذجاً للقائد العسكري .. ويحفظ خصوم شارون هذا القول عن ظهر قلب ..

قال شارون لي في القدس : سأخبركم عن هذا الموضوع كان بن جوريون يحبني .. كنت واحداً من القلائل الذين يطرقون باب بيته سواء في الليل أو في النهار .. كنت جندياً من نوعه ، أي من الجنود الذين يعرفون كيف يفعلون ما يريدون .. وأثناء الاجتماعات كان بن جوريون يستدعيني — مما يثير استغراب وانزعاج الضباط الأعلى منى مرتبة – أي تقريباً جميع الموجودين .. كانوا يشعرون بالغيرة من الاهتمام الذي أحظى به .. وصدقني لقد دفعت ثمن ذلك طوال سنوات عديدة .. الضباط الذين حضروا هذه الجلسات كانوا يتمنون أن ينالوا مني وتحجيمي .. حسناً وقد حدث ذات مرة – مرة واحدة – أن كذبت على بن جوريون ، كان هو حينئذ وزير الدفاع ، وكان دايان رئيساً للأركان ، وكنا نحن الإثنين نعلم بالمهمة الخاصة التي يقوم بها هارتسيون .. إلا أن دايان أنكر معرفته بالهجوم وحينما سألني بن جوريون عما إذا كان دايان يعرف به .. كذبت حماية لدايان .. ومنذ ذلك الوقت رددت القصة ، واختصرت ، وبدأ الناس يكتفون بالقول أنني كاذب ماذا يمكنني أن أفعل ..